قال الاخيف ومن احسن ما يسلى به من مات له ولد وهو ان رجلا مر
على امراة بالبصرة فسمعها تقول ان زوجي ذبح شاة في يوم عيد الاضحى
وكان لي صبيان جميلان يلعبان فقال اكبرهما للاخر اتريد ان اريك كيف
ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه وما شعرنا به الا متلطخا
في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى جبل فاكله
الذئب وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني
الدهر والحمد لله على كل حال قال الجلال السيوطي ولم ار في الصبر
الجميل مثل ما حكي عن اسما بنت ابي بكر في حرب ابنها عبد الرحمن
ابن الزبير وذلك انه دخل عليها في اليوم الذي قتل فيه فقال ما رايك
قالت ان كنت على الحق وتدعو اليه فقاتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك
غلمان بني امية فيلعبوا بك يا ابن الزبير لضربة بالسيف في عز احب
بالسوط في ذل فقال لها والله هذا رايي والله ما دعاني للخروج
الا الغضب لله تعالى ان تنتهك محارمه ثم قالت اللهم اني قد سلمت
لامرك ورضيت منك بقضائك فاثبني في عبد الله ثواب الشاكرين
فودعها فوجدت الدرع تحت ثوبه فقالت ما هذا فعل من يريد ما تريد
فقال لها اني لا اخاف القتل وانما اخاف المثلة فقالت يا بني ان الشاة
لا تبالي بالسلخ بعد الموت ثم انها تقف على خشبته وهو مصلوب
فتقول

١٥١

فتقول لقد قتلوك ظمآن الهواجر وانت على الحق وهم
على الباطل وما نزل ابن عيينة ولما صلبه الحجاج آلى على نفسه
ان لا ينزله عن خشبته حتى تشفع فيه امه فلبث عاما كاملا
حتى عشش الطير في جمجمة راسه والناس يلومون امه
في عدم شفاعتها فيه فلما صار له حولا اتت اليه في مجلسه
فقالت فسح الله الامير اما آن لهذا الخطيب ان ينزل عن منبره
فامر بتنزيله وقال الحاضرون له انظروا الى فعلها صبرت حولا وجعلت
ولدها خطيبا حيا وميتا وكلمتنا بكلام لم نر امر منه فقيل
له ايها الامير لم تسمع منها ما يسوء فقال اما سمعتم قولها
فرح الله الامير فانها اشارت الى قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة وقيل ان الحجاج قال لها كيف رايت ما فعلت بابنك
فقالت افسدت عليه دنياه وافسد عليك اخرتك وكان الحجاج من
الظلم على جانب عظيم قال الحافظ الذهبي وابن خلكان وغيرهما احصي
من قتله الحجاج صبرا سوى من قتل في حروبه فبلغ مائة الف وعشرين الفا
ومات في حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امراة منهن ستة عشر الفا
نوضت سجونه بعده فوجد فيها ثلاثة وثلاثون الفا لم يجب على واحد منهم
قطع ولا صلب واخرج سليمان بن عبد الملك من سجونه ثلثمائة الف